الامثال العامية البغدادية

Proverbes vulgaires de Baghdad.

تمهيد

الامثال ، على اختلاف قائليها واغراضهم ، تدل على حكمة بعيدة الغاية . كما انها لسان حال القوم الذي انتحلها عدة له لمكافحة الاوهام . او منهو من قبيلها. ولقد اشتهرت امم الشرق بامثالها منذ اقدم العهود . وهذه امثال سليمان الحكيم اشهر من ان تذكر في هذا المعنى ، مع ان الرجل يذكر ان غيره سبقوه الى النطق بها . اذن : الشرق مشهور بانتاج هذا النمط البديع الذي تجري عليه الامم في بلادها او ديار غيرها ممن استحسنها .

واذا كان الشرق مشهورا بابراز خيال المعاني وعرضها على الافهام بصورة عارية واحيانا تعثر مثلا ، فالعراق ولاسيما بغداد ، معروفة بهذه المزية الفكرية . وقد يبنى المثل على حكاية او واقعة او دفعت به غريزة الحكيم الى حسم مسألة طرأت في مجلس . فيأتي ذلك القول بمنزلة فصل الخطاب . ثم يذهب حجة بين الناس . فيتمسكون باهدابه .

ولقد صنف كثيرون في امثال بغداد . ونحن غير واثقين على كل ما كتب في هذا المعنى . إلّا اننا نتذكر ان صديقنا العلامة لويس ماسينيون نشر رسالة للقاضي ابي الحسن علي بن الفضل المؤيدي الطالقاني جمعها هذا في سنة ٤٢١هـ اي في سنة ١٠٣٠م] ووسمها برسالة الامثال البغدادية وطبعها الحدث الوفي في مطبعة دعمسيس بالفجالة في مصر ولم يذكر فيها سنة النشر . وقد احصى اعدادها فاذا هي ٦١٣ مثلا .

وقد اقتفى استاذنا المرحوم الشيخ محمود شكري الالوسي رسالة في هذا الموضوع نفسه. وقد جمعنا نحن ايضا من امثال عوام النصارى واليهود والمسلمين في الموصل وبغداد والبصرة ما يبلغ عددها نحو الخمسة آلاف . ونشر صديقنا المتفنن يوسف رزق الله غنيمة في مجلة المشرق [٩ : ٢٩٧ ـ ٣٠٢] مقالا بعنوان : « الامثال العامية في البلاد العراقية » اورد فيها ١٢٠ مثلا وعلق عليها حواشي توضح معانيها وتفسر مفردات لغتها وتسرد بعض قواعد من اللغة العامية العراقية .

على ان الذي فاق الكل بجمعها وترتيبها على حروف الهجاء . وعلق عليها حواشي وما يتصل بها من الحكايات . هو صديقنا صاحب البدائع والروائع الحاج عبداللطيف ثنيان . فقد جمع منها مايزيد على خمسة آلاف مثل وذكرها بالالفاظ التي ينطق بها العوام مع ضبطها بالقلم بموجب اصواتها من مد حروف العلة وقصرها وضبط مالايصور منها بحركاتنا المعهودة بل بحركات خاصة بالناطقين بها . وبعد ان صورها بما ينطق بها اردفها بصحة اللفظ الذي يقابلها عندالفصحاء وبعدذلك علق عليها سبب ذكرها ان كان ثم سبب اوشرحها شرحا يثبتها في الفكر حتى يستعملها الواقف عليها عند الحاجة اليها .

وقدجعلنا لهذه الغاية حركات وشكلات لضبط حروفنا: فاتخذنا الضمة المقلوبة هكذا [،] لتصوير الحرف الافرنجي o فتكتب «القول» على مايتلفظ به العوام هكذا «القوّل» Al-qol واتخذنا الفتحة المقلوبة اي [،] لتصوير الحرف الافرنجي e فتكتب «البيت» وتلفظ Al-bét على مايتلفظ بها العوام واما الحركة المختلسة نجعلها نصف سكون اوهلالا صغيرا مستلقيا قرناه الى يمين القارئ، اي هكذا [،] للاشارة اليها فتكتب « كافر » التي تلفظ فاؤها بحركة مبهمة غير صريحة هكذا «كافر» وتلفظ kâfer فالحركة المختلسة غير الصريحة تقابل اذا حرف e في كلمة Le الفرنسية التي هي اداة التعريف للمذكر في اللغة المذكورة او الحرف المزدوج الفرنسي oe القصير الصوت لا الطويله .

وبعد ان وطأنا البحث بهذه الكلمات التي لابد منها . نذكر الامثال العامية على ما جمعها حضرة الصديق وقد اخترنا من كل حرف مثلا واحدا هو المثل الذي اول حروفه حرف من حروف الهجاء العربي . ودونك هذا النموذج :

[لغة العرب]

ابعد اختي عني واخذ حملها مني

Ib'id ukhti 'anni w-khud himilha minni.

تعريبه :

ابعد اختي عني وخذ حملها مني

مثل يضرب عن لسان النخلة كانها تقول للزارع عند غرسها اياها . والمراد

منه ان النخل ان تباعد بعضه عن بعض حسن نموه وقوي في ارضه وغلظ جذعه وازداد حمله وهو امر مشاهد معروف. واحسن ما يزرع من الفسيل ما يجعل بين الواحد والاخر ما لا يقل عن ثمانية امتار. وإلا فهناك من يريد تكثير العدد في تلك الفسحة فلا يحصل على نتيجة حسنة. فلو غرست في جريب من الارض مائة نخلة وغرس آخر فيه مائتين لكان ثمر المائة اكثر من ثمر المائتين والنخلة بغلظ نخلتين بل اكثر وهلم جرا.

بغلة القاضي

Baghlat el-Qôdi.

مثل يضرب للرجل الحقير يرفع قدره خوفا من سيده او متبوعه او غيرهما ولولا ذلك لاحتقر وانزل الى منزلته التي يستحقها. يقال ان قاضيا مات له بغلة فامر بسحبها الى محل بعيد دفنا لجيفتها فكان خلفها من الناس الذين يخشون سطوته وجوره عدد عظيم. فسأل رجل احدهم ماهذه فقال (بغلة القاضي).

تعاركت الخيل من كرد السايس

Ta'ârakat al-khêl mon guird essâis.

تعريبه:

تعاركت الخيل لشقاء السائس

يمثل يضرب لكل عمل يكاد يتم حسب رغبة طالبه ثم يحدث شجار او منافسة بين من عنده تمام العمل في الاخر فيفسده او يتأخر عن عمله لان الخيل اذا وقع بينها عراك لا يتأتى غير سائسها.

ثور معمم

Thor mo'ammam.

مثل مبني على حكاية يتداولونها وهي ان اميرا كلف احد غلمانه بان يأتيه بثور معمم. فاخذ ثورا من الثيران وعصب رأسه بعمامة وبينما هو قاصدا الامير اذ لقيه احد اصحابه. فعجب من عصابة رأس الثور فسأله عن السبب فذكر له رغبة الامير في ذلك. فقال ويحك ان ذهبت اليه بهذا علم جهلك وانصدك قال فما وجه العمل؟ قال: تعال معي. فاتيا جاعلا معمما وليس فيه من العلم

إلّا ظاهر عمامته . فقال له سيدي ان الامير يريد ان يحظى بلقيك فتعال اليه مع النديم . فذهب معه فلما رآه الامير اخذ يختبره فاذا به اقل علما من ثور يحسن تدبير امر معاشه. فشكر نديمه لكن النديم ابى ان يستأثر بالشكر فذكر له عمله وارشاد صاحبه فطلب ذلك الصاحب واتخذه نديما له .

الجود من الماجود مو من الجلود

Al-djûd moen el-majûd, má-hû moen al-djulûd.

تعريبه :

الجود يكون من الموجود لا من الجلود

مثل يجيب به من يعاب بعدم التأنق في طعامه او لباسه . او بعدم تبرعه بمال جزيل في سبيل احد المشروعات الخيرية . فيعترف قائله انه مقل وليس بغني . والجود يكون من وفرة المال وليس من جلد الرجل ويعني بالجلد رأس المال القليل او نفقة العيال .

حلب البستان لا ياكل ولا يخلي غيره ياكل

Tehalib el-boestân lâ iâkul wlâ iekhalli ghaîreh iâkul.

تعريبه :

كلب البستان لا هو يأكل من ثماره ولا يدع غيره يأكل منه

مثل يضرب لمن يمنع غيره من الانتفاع بن الشيء وهو لا ينتفع منه . لانه لا يحسن التدبير كالكلب الذي يتخذ لحراسة الحدائق فانه يمنع الناس من التسلط عليها فلا يستطيعون الانتفاع من ثمارها . وهو لا ياكل منها لانه من اكلة اللحوم فلا هو الذي يستفيد منها ولا غيره فهذا يشبه قولهم: الا ياكلو ولا يخلي غيره ياكل

الحساب بالحمام

Lehsâb bel-hammâm

تعريبه :

الحساب يكون في الحمام

الحمام عند لاعبي الجوز هو حفيرة تحفر في ملتف جدار بقدر الكف ويقف اللاعب بعيدا عنها نحو المترين ثم يرمي بالجوز فمن كان الذي في الحفرة زوجا اخذ مثله . وان كان فردا خسره وهو بالعربية « الزداة » يقال زدا الصبي

الجوز زدوا لعب ورمى به في المزداة للحفيرة التي يرمي بها الجوز [تاج العروس] وهي الادحيسة ايضا . والدحي رمي اللاعب بالحجر والجوز وغيره ، والحفرة ادحية [لسان العرب] . فالرامي عند سؤال الواقف على الحفرة كم عدد جوزك يجيبه « لحساب بالحمام » اذ على ذلك الحساب هو المعول لا على مايرميه

خاتم وصايحيلك آمين

Khátoum w'sáhhiléh ámin.

تعريبه :

ختم القرآن وصاحوا في الدعاء له آمين

كانت العادة الى ما قبل نحو عشرين سنة عند بعضهم . وقبل نحو ثلاثين سنة عند العموم ان الغلام يرسل الى الكتاب فيعلمه المعلم قراءة القرآن وكان من قبيل الحرام ان يتناول قلما للكتابة لانها لاتجوز إلا بعد ان يختم القرآن فاذا ختمه اقيم له شبه زفاف فيلبس خاتم القرآن احسن الثياب او يركب فرسا ان كان غنيا ويدار به في الاسواق والازقة وخلفه اولاد مدرسته اجمع والمعلم يرأسهم واسلمه احد التلامذة يقرأ بصوت جهوري دعاء خاصا وعند كل فقرة ينادي الاولاد : آمين . فصارت مثلا لمن يقال عنه انه لايعرف كذا فيجاب دفاعا عنه : « خاتم وصايحيلك آمين »

دكه بدكه ولو زدنا زاد السكه

Daggah bdaggah wlô zidna zâd es-saggah.

تعريبه :

دقة بدقة ولو زدنا لزاد السكة

مثل يقال انه مبني على حكاية وهي ان رجلا صالحا من ذوي المروءات والشرف والعفة كان له زوجة تماثله في اخلاقه وانهما سكنا بأتيهما بالماء الى بيتهما عبد اسود بعيد وهو حسن الاخلاق حبي ايضا . فوقع يوما ان جاءت الصانع امرأة تريد ان يصوغ لها اسورة فأخذ يدها ليأخذ قياسها فمالت اليها نفسه فعصرها متلذذا ، وعاد الى بيته مساء . فقالت له زوجته لقد مر بي اليوم امر غريب وذلك ان سقاءنا فلانا دخل اليوم وبعد ان افرغ القربة جاء الي وامسك بعضدي وعصره ثم خرج . فذكر لها ماجرى له . فقالت : « دكه بدكه ولو زدنا زاد السكه »

عبد اللطيف فياض